الابتلاء علمني

تأليف
هناء بنت عبدالعزيز الصنيع

ح هناء عبدالعزيز الصنيع، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصنيع، هناء بنت عبدالعزيز عبدالله
الابتلاء علمني.
٧٨ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك:

١- ٢-
أ. العنوان
ديوي:

رقم الإيداع:
ردمك:

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان:٢].

والصلاة والسلام على رسول الله القائل:

«من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُصِبْ مِنهُ» صحيح البخاري.

ربما تعرضت للابتلاء في حياتك.. هون عليك، ولا تظن أنك الوحيد في ذلك.. الناس كلهم يتعرضون للابتلاء، هذه الحقيقة ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]، أي: في مشقة.

يا صاحِبي: هوِّن عليك، كل الحياة مُغَادِرَة

يا صاحبي: هاتِ يديْك، إن القلوب مُسافرة

يا صاحبي: مهما بكيتْ، كل المآسي عابرة

يا صاحِ دنيانا طريق، و العيش عيشُ الآخرة[1].

ولكن..

ردود الأفعال تختلف عند الابتلاء.. وهنا يقاس الإيمان..

---

(١) كتاب(بين جنبي زهرة)،للشاعرة هيا المشاري.

هنـا يكرم المـرء أو يهـان، فعليـك بالرضـا لترتفـع منزلتك عند الكريم المنان.

وتصعـد في أعلى الجنان، واحذر أن تسـخط من أقـدار الله فتبوء بالإثم والخسران.

أجب نفسك بصوت خافت:

ماذا كان رد فعلك عندما ابتلاك الله؟

هل كنت راضيًا بأقدار الله أو(....)؟

هل زاد إيمانك أو نقص؟

بمن تعلق قلبك..؟ بالله..؟ أم بالأسباب..؟ أم بلا شيء..؟

حسـنًا.. أيًّـا كان جوابـك دعني أُسـمعك خلجـات صدور من تعرض للابتلاء مثلك لعلها تكون سـلوى وراحة لقلبك، لعلها ترفع همتك، وتزيد إيمانك، وترسم لك طريق الصبر الجميل..

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨].

تدبر هذه الآية أولاً، فهي طوق النجاة..

ثـم أبحر عـبر صفحات الكتـاب بين أمواج الابتـلاء المتلاطمة، وستصل في النهاية إلى شواطئ الأمان القريبة الواسعة..

هناء الصنيع
الرياض - ١٤٣٩هـ
hana.s3a@Gmail.com

..الابتلاء علمني..

الابتلاء علمني - بفضل الله - أن أرى بوضوح الطريقَ الذي أسير عليه في حياتي؛ لأحقق الغاية التي خُلقت من أجلها، وأتدارك ما بقي من عمري، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

أحسن إلى الخلق، وارحمهم يرحمك الرحمن، ويرفع عنك البلاء، ولا يلزم من رحمة الله بالعبد أن يرفع عنه البلاء فقد يكون استمراره عين الرحمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

أنت بحاجة ماسة لرحمة الله فتعرض لنفحات الرحيم، يرحمك.

قال رسول الله ﷺ: **(الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ)**[1].

علق قلبك بالله وحده، فكل من تعلق بما سوى الله خُذِل، أيًّا كان المتعلق به، «أزواج، أولاد، إخوان، أقارب، أصحاب، وظيفة، مال».. تذكر سيخذلونك، قال رسول الله ﷺ: **(من تعلَّق شيئًا**

(١) رواه الترمذي في سننه، وقال:حسن صحيح.

وُكِلَ إليه)[1]، ومن وُكِلَ إلى مخلوق ضاع.

- الابتلاء علمني.. معرفة شعور أهل الابتلاء، وما يفكرون به على اختلاف درجات إيمانهم، ومعرفة احتياجهم والمسارعة لتلبيته، ومعرفة ما يضايقهم والبعد عنه، قال رسول الله ﷺ: **(لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه)**[2].

- إذا كنت تتقن تحويل المعاناة إلى قوة إيجابية لك ولغيرك.. فأنت شخص قوي الإرادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. التغيير يبدأ من الداخل وذلك بصدق التوكل على الله.

- في الحياة نتعلم.. حينًا عندما نتأمل.. وحينًا عندما نتألم.. وكذلك عندما نجرب.. وأحيانًا عند النعم.. وأخرى عند النقم.. كلها تعلمنا دروسًا وحِكمًا.

- من فوائد الابتلاء أنه يرقق قلبك ويقويه في الوقت نفسه، «الضربة التي لا تقتلك تقويك».

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) صحيح البخاري.

ستشفى جراحك بإذن الله ويختفي أثرها، فالدنيا امتحان، وغدًا ينتهي هذا كله، فاصبر ولا تجزع.

وَلا حُزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرورٌ ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ

الابتلاء علمني.. أن الإنسان ضعيف بنفسه، قوي بالقوي العزيز.. فقل: لاحول ولاقوة إلا بالله، وأكثر منها فبها تتيسر الصعاب، وتخف الأثقال، وينفلق الفجر ليمحو الظلام، قال رسول الله ﷺ: (**قُلْ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، فإنها كَنزٌ من كُنوزِ الجنةِ**)[1].

كنز من كنوز الجنة؛ لما فيها من التبرُّؤ مِن القوة والحول، والإقرار بأنه لا يمكن تدبير أمر، ولا تغيير حال إلا بمشيئة الله وعونه.

المحنة كإعصارٍ دار في أرض عمرك، وحمل معه شوائب حياتك، ليجعل أرضك نقية، أمر لا تريده لكنك تحتاجه، قال رسول الله ﷺ: (**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ، حتَّى يلقَى اللهَ وما علَيهِ خطيئةٌ**)[2]..

(**ما يزال البلاء بالمؤمن**): هذا يدل على التتابع والاستمرار، وأن هذا البلاء لا يكون مرة واحدة ثم ينتهي كل شيء،

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال:حسن صحيح.

نعـم قـد تكون أيـام العافيـة أكثر مـن أيام البـلاء، ولكن الإنسـان لا يـزال يَـردُ عليه مـا يؤلمه، وينغص عيشـه من الآلام الحسية والمعنوية.

- عندمـا يمنع الله عنك نعمة تريدهـا فهو يحفظك من شرها الذي لا تعلمـه، قال الله تعـالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

- قامـت تصـلي لربها وتبكي وتبث له الشـكوى وتحكـي، فجاءها الفرج!..

جلست بين الناس تبكي وتبث لهم الشكوى وتحكي،فزادوها همًا وغمًا.. وصدق القائل:

شكا للناس من وجع عصي .. فصار به وبالشكوى شقيًا

وحين شكا لرب الناس هلّت .. سحائب لم تدع وجعًا عصيًا

- تأمـل لطـف اللطيـف في المحـن، ولاتكـن جحـودًا فتغمض عينيـك عنه، عندها سـتجد الأنـس والراحة.. حيـث لم تكن أعظـم، ولم تكـن في دينك، وأن الله صبرك عليهـا، هذا التأمل في الألطـاف لا يفعلـه إلا مؤمن، قال رسـول الله ﷺ: (**عجبًا**

لأمرِ المؤمـنِ، إن أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابته سراءُ شكرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر، فكان خيرًا له)[1].

قال أهل العلم يجتمع للمؤمن عند الضراء ثلاث نعم:

١. نعمة تكفير السيئات.

٢. نعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك.

٣. نعمة سـهولة الضراء عليه، لأنـه متى عرف حصول الأجر، وتمرن على الصبر، هانت عليه.

كلما اشتد الكرب اقترب الفرج، قال الشاعر:

وإذا مسك الزمان بضر

عظمت دونه الخطوب وجلت

وأتت بعده نوائب أخرى

سئمت نفسك الحيـاة وملت

فاصبر وانتظر بلوغ الأمـاني

فالرزايا إذا توالت تولت

---

(١) صحيح مسلم.

وإذا أوهنت قواك وجلت

كُشِفت عنك جملة وتخَلّت

الابتلاء علمني أن العمل والإنتاج يبعثان فيك نشاطا وحيوية تنسيك أحزانك..

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل.. قال رسول الله ﷺ: **(المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ، احرِص على ما ينفعُكَ، واستَعِن بالله ولا تعجِزْ، وإن أصابَكَ شيءٌ، فلا تقُل: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وَكَذا، ولَكِن قل: قدَّرَ الله، وما شاءَ فعلَ، فإنَّ لو تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ)**[1].

ومن شواهد العمل والإنتاج في البلاء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢].

اشكر من يصفعك بقوة عندما تقود حياتك وأنت غافل.. الابتلاء يوقظك بصفعة قوية مؤلمة.. لكنك تستفيد منها. قال رسول الله ﷺ: **(من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ مِنهُ)**[2]. ومعنى الحديث: «أن من أراد الله ﷻ به خيرًا في الدنيا وفي الآخرة برفع

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح البخاري.

الدرجات، وحطِّ الخطايا والسيئات وتعظيم الأجور، فإنه يرسل إليه ألوان المكاره، فيصب منه في نفسه بالأوجاع والأمراض والهموم والأمور المؤلمة المتنوعة التي يسوقها الله ﷻ إليه مما يكدر خاطره.. ولربما كان ذلك في ماله، ولربما كان ذلك في ولده، أو من يحب، كل هذه الأمور يسوقها الله ﷻ للمؤمن ليكون خيرًا له، وإذا استشعر المؤمن هذا المعنى - أن ذلك لإرادة الخير به - فإنه لا مجال للحزن والحسرات التي تنتاب الكثيرين على ما فاتهم من هذه الحياة الدنيا، وما يقع لهم فيها من الأمور المشوِّشة، ومن الأمور المؤلمة، فالله إنما أراد بهم خيرًا»[1].

أيها المبتلى.. عليك بالمسارعة بالتوبة من المعاصي، ورد الحقوق لأهلها، فذاك ضمان لصدر منشرح ونفس راضية قريبة من الفرج وكشف الكربة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥].

لا تحارب القدر وتعاديه، فتتعب نفسك.. قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ تعالَى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرِّضا، ومن سخطَ فله السُّخْطُ)**[2]، لا أسعد للمبتلى من جنة الرضا.

(١) د.خالد السبت.

(٢) حسنه الألباني في صحيح الترغيب.

كلما ظننتَ أنك فهمت الحياة، اكتشفتَ فجأة أنك مازلتَ في الصفوف الأولية من مدرسة الحياة..اللهم علمنا ما ينفعنا.

قم يا صريع الوهم واسأل... بالنهى ما قيمة الإنسان؟ ما يعليه؟

واسمع تحدّثك الحياة فإنّها... أستاذة التأديب والتّفقيه

وانصب فمدرسة الحياة بليغة... تملي الدروس وجَلّ ما تمليه

سلها وإن صمتت فصمت.. جلالها أجلى من التصريح والتنويه[1].

افعل الخير واحتسبه عند الله، قال رسول الله ﷺ: **(صَنائِعُ المَعْرُوفُ تَقِي مَصارِعَ السُّوءِ والآفَاتِ والهلكَاتِ)**[2]. وأهل الابتلاء هم أحوج الناس لفعل الخير ليدفعوا عن أنفسهم بإذن الله الآفات والهلكات ومصارع السوء.

سعادة المبتلى مرتبطة بصبره.. قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ السعيدَ لمن جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّب الفتنَ، ولمن ابتُلِيَ فصبرَ فواهًا)**[3].

(ولَمَن ابتُلِيَ): امتُحِنَ وعاصر شيئًا من تلك الفتن.

---

(١) الشاعر عبدالله البردوني.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(فصبَرَ): صبر عليها، فلم يَفتتِنْ ولم يقع في شرها ولم يشارك فيها، وتحمَّل الظلم الواقع عليه.

(فَواهًا): ما أحسن من صبر عليها، وقيل: يعني التحسر على من باشرَها، وابتُلِيَ بها.

عند نزول المصيبة، أكثِر من الاسترجاع لتربح، فهو طريقك إلى الفرج.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

الابتلاء: الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة، أو ضعف.

الصبر: توطين النفس على احتمال المكاره.

المصيبة: ما يصيب العبد من ضرر في نفسه، أو أهله، أو ماله.

الصلوات: جمع صلاة، وهي من الله تعالى، والمراد بها هنا المغفرة، لعطف الرحمة عليها.

ورحمة: الرحمة الإنعام، وهو جلب ما يسر، ودفع ما يضر، وأعظم ذلك دخول الجنة بعد النجاة من النار.

المهتدون: إلى طريق السعادة والكمال بإيمانهم وابتلاء الله تعالى لهم وصبرهم على ذلك.

- الابتلاء يصقل شخصيتك، ويكسبك الخبرة في التعامل مع حوادث الزمان. فتصبح كما قال الشاعر:

لا يملأُ الهولُ قلبي قبل وقعتِهِ ... ولا أضيقُ به ذرعًا إذا وقعا[1]

- الابتلاء يكشف لك نفسك لتتمكن من تقييمها وتقويمها. وصدق القائل:

وإنّي ضعيف إذا كُنتُ وحدي ... وإنّي قويٌّ بربِّ السماء.

- من فوائد الابتلاء: أنه يجعلك تهتم بالأولويات، وتزهد في الكماليات، وفي هذا استدراك عظيم للعمر القصير، والزمن السريع. قال الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

- أن تعيش الابتلاء يعني أنك الآن تطبق الجانب العملي للكلام النظري الذي تعلمته عن: الصبر، الرضا، الشكر، واحتساب الأجر.

---

(١) لقيط بن زرارة.

الابتلاء يكسر حدة التعلق بالدنيا فتسلم من فتنتها.

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت.. أنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

حاول أن تنسى أوجاعك الماضية فتذكُّرَ الأحزان يجرّ آلامها.. فقط احتسبها عند الله، وحاول أن تنساها، فلا يجدد الأحزان مثل التذكرِ..

تذكرت في أوطاني الأهلَ والصحبا فأرسلت دمعًا فاض وابلهُ سكبًا
وبتُّ طريد النوم أختلس الكرَى بشاخص طرف في الدجى يرقب الشُّهبا[1]

الابتسامة تسعدك، والعبوس يحزنك، ابتسم ليخف ألمك، الابتسامة تمرين للسعادة، وهي من مقدمات الرضا وتعين عليه، ساعد نفسك على تخطي الابتلاء.. ساعد نفسك واسمح لقلبك أن يبتسم دعه يجرب ذلك، مسكين قلبك لا يتحمل، دعه يبتسم، هيا الآن، الابتسامة أنت تفعلها ولا تحتاج لمن يجعلك تبتسم!.. ابتسم لتهدي قلبك جرعة باردة من السلام النفسي والراحة بإذن الله.

من أعظم فوائد الابتلاء أنه يعينك ويدربك عمليًا على قطع

(١) معروف الرصافي.

العلائق إلا من الله،وهذا من كمال التوحيد.. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين:

«المفسد الثالث من مفسدات القلب: التعلق بغير الله تبارك وتعالى وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق.

فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عَزَّوَجَلَّ بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل.

وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله».

عندما تتحدث عن مصيبتك عدد الألطاف فيها، أما المعاناة فاحتسبها عند اللطيف الخبير سبحانه.

فمن لطفه: أن يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر العبد بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقًا له إلى أعلى الدرجات، وأرفع المنازل.. «ولهذا لما تنقلت بيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تلك الأحوال، وتطورت به الأطوار من رؤياه، وحسد إخوته له، وسعيهم في إبعاده، ثم محنته بالنسوة، ثم بالسجن، ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة، ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار، وإزالة الأكدار،

وصلاح حالة الجميع، والاجتباء العظيم ليوسف، عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها لُطف لَطف الله لهم به، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠]، أي: لُطفه خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه محلاً لذلك وأهلاً له، فلا يضعه إلا في محله، فالله أعلم حيث يضع فضله»[١].

قال ابن القيم رحمه الله:

وهوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ .. واللطفُ في أوصافِهِ نَوْعَانِ

إدراكُ أسرارِ الأمورِ بِخِبْرَةٍ .. واللطفُ عندَ مَوَاقِعِ الإحسانِ

فَيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ .. والعبدُ في الغَفَلاتِ عنْ ذا الشَّانِ

وما أدراك أن في الحرمان لطفًا كبيرًا لعبد ضعيف فتح الله له أبواب: العبادة، القرب، المعرفة. قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدنيا وهوَ يحبُّهُ كما تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ والشَّرَابَ)**[٢].

حماه: أي حال بينه وبين نعيمها وشهواتها، و وقاه أن يتلوث بزهرتها، لئلا يمرض قلبه بمحبتها، ويألفها، ويكره الآخرة، فهو منع حفظ وحماية.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للعلامة السعدي رحمه الله.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب.

- لا حزن في الجنة...

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

- الابتلاء يُورث الحكمة.

- المصيبة ألا تتعلم من المصيبة.

- الابتلاء علمني.. أننا أحيانًا نحتاج لبعض الحرمان كي نشعر بجمال ما نملك، فنحمد الله، ونقنع بما أعطانا ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧].

- أعظم الابتلاء ما كان في الدين، وما سواه هيّن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]، وذلك في سياق قصة ابتلاء ابراهيم عليه السلام في الثبات على دينه، وتنفيذ أمر الله بقتل ابنه.. الله جل جلاله سماه البلاء المبين، وليس فقد الأموال وحدوث الأمراض.. «ومن حكمة الله العظيمة في الأمر بذبح إسماعيل: أن قلب إبراهيم ظل متعلقًا بالله، متوكلاً عليه، ليس فيه أحد غيره، حتى عندما ألقي في النار لم يطلب ولم يستعن إلا بمولاه، ولكن عندما جاءه الولد الذي حُرم منه طول حياته وبلغ السعي وأصبح يرتجي منه كل معروف، أراد الله وهو العليم سبحانه أن يختبر قلب عبده إبراهيم، ويختبر تمكن حب الولد من قلب النبي

الذي اتخـذه الله خليـلاً ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، فإذا بالخليل يعلنها لربه: أن قلبه خالصًا لله وحده، ليس فيه أحد سـواه، ولم ينل منه أي حب سـوى حب خالقه ومـولاه، فحينها تعطل السـكين، ولم يذبح، ونزل الأمين بالفداء بالذبح العظيم، والبشـارة بولد آخر لإبراهيم من زوجته العاقر العجوز، ليعلموا جميعًا أن الله على كل شيء قدير، وأنه إذا أراد أمرًا، فإنما يقول له كن فيكون»[1].

- عندمـا تزيـدك المصيبة بعدًا عـن الله و لا تقربك منه فهذه مصيبة أخرى!، أحسـن الله عزاءك في نفسـك، قـال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣].

- الابتـلاء كأمواج البحر وأنت البحار، وقـد قيل: «البحار الهادئة لا تصنع بحَارًا ماهرًا».

- لكل محسن في عمله، وعلاقته مع ربه: أبشر بالرحمة والفرج القريب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

(١) يحيي البوليني، موقع(المسلم).

- المرء يولد أكثر من مرة، وأكثر الولادات تحدث في مخاض الابتلاء. وقد قيل: «من رحم المحن تولد المنح».

- أعلى درجات السعادة تجدها عندما تحصل على المعية الخاصة من الله، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وهي معية النصرة والتأييد، مؤنسة مطَمْئنة، مُذهبة للخوف..فإذا شعرت بوجود هذه المعية فحافظ عليها، كي لا تخسرها يومًا ما.

- عجبًا لصاحب بلاءٍ لا يقوم من الليل!..

أكثر من الصلاة، تأتيك الراحة، قال رسول الله ﷺ: **(يا بلالُ! أَقِمِ الصلاةَ، أَرِحْنا بها)**[1]. البشرى قد تأتي في المحراب، فالزم الصلاة يأتيك الفرج. تأمل في قصة زكريا عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩].

«لقد نادته الملائكة في أروع لقاءاته مع ربه، أو هو حينما دعا أخذ ما علمه الله للأنبياء إذا حزبهم أمر قاموا إلى الصلاة. أليس طلبه من الله؟، إذن فليقف بين يدي الله. وليجربها كل واحد منا عندما يصعب عليه أي شيء، وتتأزم الأمور، وتمتنع الأسباب، فليقم

(١) صححه الألباني في صحيح أبي داود.

ويتوضـأ، ويقف بين يـدي الله، وليصل بخشـوع، وأنا أجزم بأن الإنسـان ما إن يسـلم من هذه الصلاة إلاّ ويكون الفرج قد جاء. ألم نتلق عن رسـول الله أنه كلما حزبه أمر قام إلى الصلاة؟ ومعنى حزبه أمر: أي أن أسـبابه ضاقت، لذلك يذهب إلى الصلاة لخالق الأسـباب، إنهـا ذهـاب إلى المسـبب. وبـدلًا من أن تلـف وتدور حول نفسـك، اذهب إلى الله من أقـصر الطرق وهو الصلاة، لماذا تتعب نفسـك أيها العبد ولك رب حكيـم؟.. وقديما قلنا: إن من له أب لا يحمـل همًا، والذي له رب أليس أولى بالاطمئنان؟.. إن زكريـا قد دعـا الله في الأمر الذي حزبه، ثم قام إلى الصلاة، فنادته الملائكـة، وهو قائم يصـلي، إن الملائكة لم تنتظـر إلى أن ينتهي من صلاته، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾»[1].

بعـض المعاناة تعجـز عن حمل كلماتها السـطور.. ولكـن يحملها قلب المؤمن الراضي بالقضاء والقدر.. قال رسول الله ﷺ: **(أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِـه، فـإن كان في دينِه صُلْبًا، اشْـتدَّ بـلاؤه، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُـلِيَ على قدْرِ دينِه، فما يـبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ)**[2].

(١) تفسير الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع.

لذات الدنيا: ناقصة، منغصة، تأتي بعد عناء، وتنتهي بسرعة!..

لـذات الآخرة: كاملة، لا نقـص فيها، لا تنغيص، لا عناء، دائمة لا تنتهـي أبدًا، فاصبر هنا لتنل هناك. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، أي: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها.

الصـبر مـع التـوكل عـلى الله مـن أقـوى الأسـباب في تحصيـل المقصـود... نجـاح، وظيفة، زواج، ذرية، شـفاء، تجـارة، رزق، نجـاة، أمن وأمـان.. تعلم كيف تحقق التـوكل في حياتك لتربح. قـال الله تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤١-٤٢].

«الصبر والتوكل صفتـان لا يحصلان إلا مع العلم بالله، والعلم بما سـوى الله، فمن علم ما سواه علم أنه زائل، فيهون عليه الصبر، إذ الصـبر على الزائل هـين، وإذا علم الله، علم أنه بـاق يأتيه بأرزاقه، فإن فاته شيء فإنه يتوكل على حي باق»[1].

(١) تفسير الرازي.

عندما تكتشف أنك لم تختر الهدف الصحيح بعد أن قطعت مراحلا في تحقيقه، فمن الحكمة أن تغيره، ولا تكابر خوفًا من سخرية من نصحوك في البداية.

ومَا دُمتَ حيًا

فسوف تسيرُ وتعثرُ حينًا

وسوف تقاتلُ حينًا وتهزم

احتسب في صبرك على الابتلاء أن ينصرك الله النصير، و يجبر كسرك الجبار سبحانه، وأن تكون العاقبة لك، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

البؤس والتعاسة حافزان قويان على النجاح، إذ لابد من التغيير، قال رسول الله ﷺ: (**احرِص على ما ينفعُكَ، واستَعِن بالله ولا تعجزْ**)[1].

ما لك لا تعدد الألطاف..! ما لك لا ترى النعم..!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ [يونس:٦٠].

---

(١) صحيح مسلم.

- مـا أطول الليل عـلى المبتلى، وما أقصره على غـيره، اصبر، فقريبًا ينقشع ليلك، فلا ليل في الجنة.

هون عليك فكل الأمر ينقطع

وخل عنك ضباب الهم يندفع

فكل هم له من بعـده فـرج

وكل كرب إذا ضاق يتسـع

إن البلاء وإن طال الزمان به

الموت يقطعه أو سوف ينقطع[1].

- ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣ - ١٤٤]. لا يطول ابتلاء المسبحين.
- أجمـل وأبلغ تعزية فيما فاتـك في حياتك الدنيا هي الإيمان بوجود حيـاة أخـرى أفضل، وأكمل، وأبقى، الحمد لله أن الدنيا ليسـت هي النهاية.

- كم من نعمة ظاهرها بلاء.. وكم من بلاء ظاهره نعمة.

- النظـرة الصحيحـة للحياة الدنيـا تخفف من حدة صدمـات الواقع،

(١) أحمد بن عاصم الأنطاكي.

وضغـوط الحيـاة .. ولن يكـون ذلك إلا بفهم الآيـات والأحاديث التي تحدثت عن الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: **(ما الدُّنيا في الآخرةِ إلَّا مثلُ ما يجعلُ أحدُكُم إصبعَهُ في اليمِّ فلينظُر بماذا يرجِعُ)**[1].

المعنـى: «أن نعيم الدنيا بالنسـبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك، أو مـا الدنيـا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسـبة للآخـرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر»[2].

الحياة جميلة بوجود الرضا والسكينة.. تأمل هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

الله سبحانه هو الذي ينـزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين به. فاطلبها منه و لا تبحث عنها عند الناس.

لا تتـألم على فـوات دنيا، فلعل فوات كثـير منها خير لك، وتألم على فوات الآخرة، ففوات قليل منها غبن لك.

لا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا.. فَالمَوْتُ لا شَكَّ يُفْنِيْنَا وَيُفْنِيْهَا
وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا.. فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيْهَا

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير، للألباني.

لا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجَمِّعُهَا.. وَبُلَغَةٌ مِنْ قِوَامِ العِيْشِ تَكْفِيْهَا
اعمل لِدَارِ البَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا.. الجَارُ أَحْمَدُ والرَّحمنُ بَانِيْهَا[1]

الابتلاء علمني أن الخيرة فيما اختاره الله..

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ومن جميل ما قيل في هذا المعنى:

يضيق صدري بغمّ عند حادثةٍ.. وربّما خير لي في الغمّ أحيانًا
وربّ يوم يكون الغمّ أوّله.. وعند آخره روحًا وريحانًا
ما ضقت ذرعًا بغمٍّ عند نائبةٍ.. إلا ولي فرجٌ قد حلّ أو حانا

الإيمان بالقضاء والقدر يعينك على الاعتدال في المشاعر وردود الأفعال، كما يشعرك أيضًا بالرضا، ويقضي على الألم،﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [النمل:٥٩].

العبد الشكور يعيش سعيدًا؛ لأنه يرى النعم ويشعر بقيمتها فيسعد بها، فهو يردد دائمًا قول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

(١) ابراهيم بن العباس الصولي.

كن قويًا بالله.. فهو (القوي) سبحانه، ومنه تستمد القوة، وإن ضعفت أو عجزت فقل: لاحول ولا قوة إلا بالله، وسترى العجب في قوتك النفسية والجسدية.

إيمانك بالقضاء والقدر يخفف وقع المصيبة عليك، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: بالجدب، وذهاب المال.

﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: بالمرض، وفقد الولد.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: في اللوح المحفوظ من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها، يقال: قد برأ الله هذا الشيء، بمعنى: خلقه فهو بارئه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل ليس بالصعب.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: لكيلا تحزنوا على ما فاتكم؛ مما تحبون.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: بما أعطاكم فرح البطر، أما فرح الشكر فهو مشروع.

الذي يكفر النعم يعيش في تعاسة واكتئاب، وقلقٍ دائم، لأنه لا يشعر بنعم الله عليه، فهو لا يراها!.. وربما لا يريد أن يراها.. وإن رآها استقلها.. فيحرم نفسه من السعادة بها، ويعيش في هم وحزن دائمين، ويدخل التعاسة والنكد على من يخالطه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦].

كنود: كفور لنعم ربه. والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئًا.

والإنسان الكنود لا ينبت في قلبه الشكر لربه فلا مكان للنبات في القلوب القاحلة..

والذي لا يشكر لله فلن يشكر للناس، فترى أهله أتعس الناس به!.

هنيئًا للمبتلى الصابر.. ما خاسرٌ والله إلا من ترك الصبر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر:١٠].

أي: يوفيهم الله أجرهم مقابل صبرهم بغير حساب، أي: بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يهتدي إليه عقل ولا وصف. والحاصل: أن الآية تدلّ على أن ثواب الصابرين، وأجرهم لا نهاية له، وهذه فضيلة عظيمة، تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير، أن يصبر فإن الجزع لا يردّ قضاء قد نزل، ولا يجلب خيرًا قد سُلب، ولا يدفع مكروهًا قد وقع، وإذا

تصـوّر العاقل هذا حـقّ تصوره، علم أن الصابر عـلى ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومـع ذلك فاته من الأجر الكثير، فضـمّ إلى مصيبته مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع.

القرآن

بحثت في حياتي عن انشراح الصدر فلم أجده.. إلا في القرآن، وحاولت الوصول إلى السعادة فلم أصل إليها إلا.. بالرضا بما قدر الله وقضى.

لا يبدد وحشة الوحدة القاسية مثل القرآن، ليس أقل من جزء يوميًا.. ستخف معاناتك كثيرًا، بل ربما اختفت، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. طمأنينة عند الخوف، وعند الابتلاء. وصدق القائل:

وعيش في ظلال الذكر تحت لوائه.. ملاذ لنا في النائبات ومعقل

يا من اشتد بكم عطش الأرواح ومزق أكبادكم جفافها.. ظمأ الأرواح لا يرويه إلا آيات القرآن، وسجدات السحر ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق:١٩].

مصادر السعادة الحقيقية: القرآن، ذكر الله، بر الوالدين، رؤية النعم وشكرها، الصلاة وقد جمعت بين القرآن، والذكر، والدعاء، وأنواع العبادة.

تعبـان.. متضايق.. مكتوم من الهم.. مللت من الحياة.. لن أقول جرب؛ فالقرآن لا يُجرب، بل اقرأ بيقين وخشوع، وأبشر بميلادك الجديد، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾: أي شـفاء للضيـق والهمـوم وضغوط الحياة، شفاء للأوجاع الروحية والنفسية والجسدية.

إن كنـت لا تشـعر بانشراح صـدرك عند تلاوة القـرآن.. زد عدد الآيات التي تتلوها، وستشـعر بذلـك حتمًا.. كلما أظلم القلـب، احتاج لقدر كبير من النـور ليبصر، صدأ القلوب لا يجلوه إلا القرآن.

قال الشاعر صالح العمري:

لا تفْقد الأمل الجميلَ وإن عفا
صدأُ الحديدِ، وشاخت الأقفالُ
البحرُ يُفلقُ، والحجارةُ تنبري
نبعًا، ويشرقُ في القلوبِ الفالُ
ومن السحابِ الجُهمِ إزهارٌ، وفي
عُقَدِ المصيبةِ تنبتُ الآمال

الناس

- الله هو الذي يسوق إليك نفع الناس، ويسخرهم لك، أو يصرفهم عنك، فأحسن في علاقتك معه واطلب الفضل منه سبحانه، يأتك من حيث لا تحتسب، ودع عنك الناس، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

- الأزمات تزيح الأقنعة عمن حولك.. كن قويًا لتتحمل ذلك.. ولا تعلق قلبك إلا بالله.

فَما أَكثَرَ الإِخوان حينَ تَعدّهُم.. وَلَكِنَهُم في النائِباتِ قَليلُ

- في المحن سترى بريق الأخوة في الله يلمع بقوة لأن العلاقات الأخرى ستغيب من حياتك فجأة!.

إِنَّ أخاكَ الحقَّ من يَسْعى معكْ .. ومنْ يَضُرُّ نفسَهُ لينفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ.. شَتَّتَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

- لمن فقد الأمان في موطنه، أو مع والديه، أو في عمله.. ومن فقدت الأمان مع أسرتها، أو زوجها، أو أولادها، أو في عملها، الأمان لا يستمد من هؤلاء، بل من الله، فتوكلوا عليه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٤].

عندما يُغرقك الابتلاء، تتجاذبك الأيدي، أيدٍ تسحبك إلى الأعلى، وأيدٍ تهوي بك إلى القاع.. وصى علقمة العطاردى ابنه، فقال: «يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَ ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدَّق قولك، وإن تنازعتما آثرك».

في الابتلاء ..احتسب عند الله ثواب صبرك على مصيبتك، وعلى تخلي الناس عنك، لاسيما من توسمت فيهم خيرًا، وأكثر من الاسترجاع، أنت لست بحاجة لهم، بل لمن خلقهم. قال رسول الله ﷺ: **(واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ، لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ، لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ)**[1].

الأوقات الصعبة تعطيك درسًا عمليًا فيمن يستحق أن تمنحه: حبك.. وقتك.. مالك.. جهدك.

وَلا خَيرَ في وِدِّ امرِئٍ مُتَلونٍ.. إذا الريحُ مالَت مالَ حَيثُ تَميلُ

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

- تميـزك ونجاحك، لـك أنت، وليس للناس، تبتغـي بذلك المنزلة العاليـة عند الله، وليس عند الناس، ومن جميل ماقرأت في ذلك: «سـقطت شجرة، فسمع الكل صوت سـقوطها! بينما تنمو غابة كاملـة، ولا يسـمع لها أي ضجيج!.. النـاس لايلتفتون لتميزك، بل لسقوطك!».

- إن أخطـأ محسـن عليـك، فدعهـا تضيـع في بحـر إحسـانه إليـك.. والمحسـنون إليك كُثر؛ منهم: والداك، إخوتك، زوجك، زوجتك، معلمك، وكل من علمك الخير، وساندك في حياتك، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

العـزم: عقـد النيـة عـلى العمـل – الصـبر والغفـران – والثبات على ذلك، والوصف بالعزم مشـعر بمدح الموصوف؛ لأن شـأن الفضائـل أن يكـون عملها عسـيرًا عـلى النفوس؛ لأنهـا تعاكس الشهوات.

- مـن الابتلاء: أن يسيء إليك من أحسـنت إليه، و ينسـى فضلك ومعروفـك، والعـشرة الجميلة بينكـما، لا تنتظر الإحسـان حتى ممن أحسنت إليه، فقد يكون هو أولهم تخليًا عنك!..الإحسان لا ينتظر إلا من المحسن سبحانه.

يا عجبًا لمن ربيت طفلاً.. ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم.. فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل وقت.. فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي.. فلما قال قافية هجاني

أشاركه الدموع وكل هم.. فلما الهم تاركَه قلاني

وكم كنت الطبيب لحزن قلبه.. فلما أن تعافى إذ سلاني

وكم علمته هجرًا لحزنٍ.. فلما كان هاجرها جفاني[1].

- عندما ترتاح لشخص ما، لا تُقَوِّ علاقتك به مباشرة، خذ وقتًا كافيًا لتدرس أخلاقه وسلوكه، حتى تتجنب الصدمات النفسية في علاقاتك، فإن سوء الاختيار في البداية ضريبة تدفعها في النهاية.

- عند المحن قد يختفي أناس أحسنت إليهم كثيرًا، ويظهر آخرون لا تعرفهم ليحسنوا إليك.. ساقهم اللطيف بحالك، فتعلق به، ودع عنك الناس.

وهذا من لطف الله بك عند الابتلاء أن يسخر لك من يهتم بك، ويبادر إلى مساعدتك، ويسندك في محنتك، دون أن تطلب منه ذلك، تذكر هذه الآية: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى:١٩].

(١) معن بن أوس المزني.

- أنت لا تعرف حقيقة الأشخاص من حولك، فلا يعلمها إلا الله، قل: اللهم دلني على أهل الخير ودلهم علي، واصرفني عن أهل الشر واصرفهم عني.. ثم ارض بما يحدثه الله بعد ذلك من عجيب الصرف والجذب، سبحانه لا إله إلا هو: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

- إن كنت تعيش بين أشخاص سلبيين متشائمين، فمن الإيجابيات أن تعلم اختلافك عنهم، فاحمد الله الذي عافاك مما ابتلاهم به، وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا.

- متى يعلم متبلد الإحساس أن من الكلام ما لا يقال ولو على سبيل المزاح، فليقل خيرًا أو ليصمت.

- من النعم أن يكون بقربك من يفهم ما تريده بمجرد النظر إلى عينيك، فيبادر إليه.. كنزٌ هذا الإنسان في حياتك، فحافظ عليه.

- جمال العلاقات وقوتها مرتبطان بحسن الظن، وكم من ابتلاءات وقعت بسبب سوء الظن. قال رسول الله ﷺ: **(إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذبُ الحديثِ، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسَدوا ولا تدابَروا، ولا تباغَضوا، وَكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا)**[1].

(١) صحيح البخاري.

في هذا الحديثِ نهى رسول الله ﷺ وحَذَّرَ مِن بعضِ ما يُؤدِّي إلى الابتلاء بالفُرقَةِ والعَداوةِ والتَّباغضِ، فحذَّرنا مِنَ سوء الظَّنِّ، والحديثَ بما لم يُتيقَّنْ مِنَ الأخبارِ، وقال: **(إنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ)**، أي: يَقعُ الكذبُ في الظَّنِّ أكثرَ مِن وقوعِه في الكلامِ، وقالَ: **(ولا تَجَسَّسُوا)**، والتَّجسُّسُ البحثُ عَنِ العوراتِ والسَّيِّئاتِ، **(وَلا تَحَسَّسُوا)** مِنَ التَّحسُّسِ وهو طلبُ مَعرفةِ الأخبارِ والأحوالِ الغائبةِ، **(وكونوا عبادَ الله إخوانًا)** إخوانًا وليس أعداءً مبتلين بالخصومات والقطيعة بسبب سوء الظن.

قد تبتلى بالمكر والأذى من شخص عجيب غريب، مضحك مبكٍ، وأظنه معتلاً نفسيًّا، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

في كل الأحوال، أنت الرابح؛ لأنك بُليت بأحمق يُتعب نفسه في حربك ثم يُهديك حسناته مجانًا. شر البلية ما يضحك!.. صدق القائل:

ضحكنا لأن البلايا كثار.. وشر البلية ما يضحك

مشاعرك ثمينة، وصحتك كذلك.. وقتك وجهدك أيضًا ثمينان.. وطيبة قلبك جمال نادر.. فلا تؤذِ نفسك بتسرعك في مخالطة من لا يستحق هذا كله.

قَالَ لقمان لابنه: «يا بُنَّي، إذا أردت أن تُؤاخي رجلًا، فأغضِبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه»، قال الشاعر:

لا تَحْمَدَنّ امْرءًا يُرْضِيك ظَاهِره .. واخْبُرْ مَوَدّته في العتْب والغَضَب

بعض الناس لا تأمنه، فقلبه يتقلب، ومبادئه تتغير، ومودته تتبدل، والأوفياء قلة، وأقل منهم الأتقياء.. إذًا لا للركون للمخلوق لأن جانبه غير مأمون.. فهو تارة يرفعك إلى أعلى الدرجات، وأخرى يخسف بك إلى أسفل الدركات!.

الابتلاء علمني خفض سقف التوقعات من الناس، ورفعه عاليًا.. عاليًا.. عاليًا في ما أنتظره من الله، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

إذا ابتلاك الله بمن فرغ نفسه من العمل لآخرته! وتفرغ ليغتابك ويؤذيك نفسيًا و جسديًا، وأخذ يردد ذكرك بالسوء أكثر من ذكره لله!.. فاطمئن، إن الله الجبار له بالمرصاد. قال رسول الله

ﷺ: **(يا مَعْشَرَ مَن أسلم بلسانِه ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه، لا تُؤْذُوا المسلمينَ، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تَتَّبِعُوا عَوراتِهِم، فإنه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ، يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَه ومَن يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَه يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِه)**[1].

(ولا تتبعوا عَوراتِهم)، أي: ولا تتحرَّوا تتبُّع سقَطاتهم وزلاتهم، وكشف ما يسترونه عن الناس من القبائح.

(فإنه من تَتَبَّعَ عورة أَخِيه المسلم، يَتَتَبَّعِ الله عورته ومن يَتَتَبَّعِ الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته)، أي: يكون الجزاء من جنس العمل، فكما تتبَّعوا سقطات المسلمين وزلَّاتِهم لفَضحِهم، سَخَّر الله تعالى له من يتَّبعُ عورته فيفضحه حتى وهو في بيته.

لا تغتر بعواطف الناس الجياشة بالحب تجاهك، الحب الحقيقي لا يتلاشى في المحن أوعند الغضب.. أحب أولئك الذين يساندونك حتى في أصعب الأحوال.

لا تحزن إن نسي الناس إحسانك فالله لا ينساه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع.

العزلة مفيدة أحيانًا.. كما أن الخلطة مرغوبة أحيانًا.. فراوح بينهما لتنعم وتغنم. قال الشاعر:

وَمَنْ حَمِدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ ... ثُمَّ بَلاهُمْ ذَمَّ مَنْ يَحْمَدُ

وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا ... يُوحِشُهُ الأَقْرَبُ وَالأَبْعَدُ!(١)

قبل أن تبكِ وتشتكِ للناس تذكر ضعفهم، وأنهم قد يقسون عليك و لا يرحمونك، ستعلم عندها أن دموعك أغلى من أن تسكب هنا، بل مكانها عند خالقهم.. تأمل في سورة يوسف عندما قال النبي يعقوب عليه السلام للقائلين له من ولده: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥]، قال لهم: لست إليكم أشكو بثي وحزني، وإنما أشكو ذلك إلى الله. لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم له، ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦]، قال ابن عباس: ﴿بَثِّي﴾ همي.

(١) العزلة والانفراد، لابن أبي الدنيا.

الحسد

النجاح والتميز يغيظ الحاسد!، لذا فإن من العقوبات الشاقة على الحاسد أن تطلب منه تهنئة المحسود أو مشاركته الفرحة!.. جرب ذلك سيرفض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و ربما هاجمك أنت!.. ستراه مغتاظًا تكاد ملامح وجهه أن تنطق بمكنون صدره!.

صدق القائل:

أعطيت كل الناس مني الرضا.. إلا الحسود فإنه أعياني

ما إنّ لي ذنبًا إليه علمتُه.. إلا تظاهر نعمةِ الرحمنِ

وأبى فما يرضيه إلا ذلتي.. وذهاب أموالي وقطعُ لساني

قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق:٥].

كل أذى يدفع بالإحسان إلا الحسد فلا يدفع شره إلا بالاستعاذة.

الأذى النفسي والجسدي، والحسد، وسوء الظن، والمكر، والوشاية قد تتعرض لهذا وأكثر من أشخاص ما كانت تتوقع منهم ذلك!.. شيء مؤلم، هذا هو المخلوق الذي أخطأت بتعليق قلبك به، وتركت الخالق!.. فهل علمك الابتلاء؟.. قال الشاعر:

كم معشرٍ سَلِموا لم يؤذهم سَبُعٌ .. وما نرى بشرًا لم يؤذهِ بشرُ.

- إن أحسنت إلى الحاسد لتبني جسور المودة بينكما، وتطفئ نار حسده التي أحرقته، فلا تتعجب من رغبته في استبقائها!.. وقد قيل:

فلا تطمعن من حاسد في مودّةٍ... وإن كنت تبديها له وتهيل

- الحاسد لا يرحمك، ولا يترك عداوته لك، حتى بعد زوال النعمة التي يحسدك عليها!.. يعني الحسد عنده هواية يفضل ممارستها في جميع الأحوال!.. مسكين عنده فراغ روحي رهيب لا يشعر به!.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

و داريتُ كلَّ النَّاسِ لكنْ حاسدي.. مُداراتُهُ عَزَّتْ وعزَّ مَنالها

و كيف يُداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ.. إذا كان لا يُرضيهِ إلّا زوالها!

المرض

الابتلاء علمني.. أن أرى الأشياء الجميلة التي أنعم الله بها علي، الأشياء التي لم أكن أشعر بوجودها في حياتي أيام السلامة والعافية، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ أصبَحَ منكمْ آمنًا في سِرْبِهِ، معافى فِي جَسَدِهِ، عندَهُ قوتُ يومِهِ، فكأنَّما حِيزَتْ لَهُ الدنيا بحذافِيرِهَا)**[1].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يعني: من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي ألا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته، ولا يفتر عن ذكره».

الابتلاء علمني.. معرفة الله، حقيقة الدنيا، الصبر الجميل، الرضا بالقدر، الشكر العملي، قال رسول الله ﷺ: **(إن العبد إذا سبقتْ له من الله منزلةٌ لم يبلغهَا بعملهِ ابتلاهُ الله في جسدِهِ، أو في مالهِ، أو في ولدِهِ، ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من الله تعالى)**[2].

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الابتلاء علمني.. أن أيام العافية ثمينة.. ثمينة.. ثمينة.. فعليك أن تنفقها بحكمة ولا تبعثرها فهناك عودة وحساب، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون:١١٥].

الابتلاء علمني أن لا تشغلني سفاسف الأمور، وأن أنشغل بمعاليها.. فأيام العافية قد لا تدوم، فلابد أن نودع فيها أعمالا صالحة قبل أن يأتي فجأة ما يُذْهلنا ويشغلنا، قال رسول الله ﷺ: **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ)**[1].

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني أن هذه الخمس: أيام الشباب، والصحة، والغنى، والفراغ، والحياة، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها».

قال الشاعر:

تغنم سكوت الحادثات فإنها ... وإن سكنت عما قليل تحرك

وبادر بأيام السلامة إنها ... رهان وهل للرهن عندك مترك

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب.

لمن يشكو ألمًا أو مرضًا في عظامه: تأمل آخر سورة يس، وأحسن الظن بالله وأبشر بالخير، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٣].

أنت مريض..؟ اسمع بشارة نبيك لك: **(ما مِن مُسلِمٍ يُصيبُهُ أذًى، شَوْكَةٌ فما فَوقَها، إلا كفَّرَ اللهُ بها سيئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها)**[1].

شبَّه محو السيئات عنه سريعًا بحالة الشجرة، وهبوب الرِّياح الخريفيَّة، وتناثر الأوراق منها سريعًا، وتجرُّدها عنها.

أن يُصبِّر صاحب المصيبة الناس بدل أن يُصبِّروه، ويبكون في وجهه حزنًا عليه، ويتأمل في وجوههم بابتسامة رضا.. هل شاهدت هذا المنظر؟!

(١) صحيح البخاري.

إنه الثبات والسكينة، وهما من الرحمن الرحيم، قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ المَعُونَةَ تأتي مِنَ الله على قدرِ المَؤُنَةِ، وإِنَّ الصَّبْرَ يأتي مِنَ اللهِ على قدرِ البلاءِ)**[1].

«يصاب المؤمن بكارثة عظيمة تنهد لها الجبال، وتطيش منها العقول والأحلام، إما بهلاك أهله وولده، أو ذهاب ماله كله، أو تشريده من بلده؛ فيعالج صدمته بالحمد والاسترجاع، ويقهر نفسه على الصبر والرضا، فيُنزل الله تعالى معونته له، ويجد في قلبه من حلاوة الرضا ما يُسَكِّنُه، ويقضي على مُرِّ القضاء بتذكر حلاوة الجزاء؛ كما قال القائل لما تبسم وقد أصيب بما يؤلم: إن حلاوة الأجر أنستني مرارة الألم.

يمر أحدنا بمؤمن مريض بأخطر الأمراض، قد أزال المرض نضرته، وأكل جسده، وأضعف قوته، وهو ينتظر حلول رمسه، ومع ذلك يتألم جليسه أكثر من ألمه لما يرى من مصابه، وهو راضٍ بقدر الله تعالى، مطمئن القلب، لا يفتر لسانه عن الحمد، وكلنا قد شاهد ذلك مرارًا، إنها معونة الله تعالى للطائعين في طاعاتهم، وللمصابين في مصابهم»[2].

الرابح عند مرضه هو الذي يحمد الله مهما عظم بلاؤه.. قال رسول الله ﷺ: **(إذا مرض العبدُ بعث اللهُ إليه ملَكينِ فقال:**

(١) السلسلة الصحيحة.

(٢) د.ابراهيم الحقيل.

انظُـروا ما يقول لعُوَّادِه؟ فإن هو إذا جـاؤوه حمد اللهَ وأثنى عليه، رَفعـا ذلـك إلى الله، وهو أعلمُ، فيقول: لعبدي عـليَّ إن توفَّيتُه أن أُدخِلَه الجنَّةَ وإن أنَا شَفيتُه أن أُبدِلَه لحمًا خيرًا من لحمِه، ودمًا خيرًا من دمِه، وأن أُكفِّرَ عنه سيِّئاتِه)[1].

مرض الجسد قد يكون نعمة.. أما مرض القلب فهو حتمًا نقمة.

قـال أهـل العلم: إن المرض وسـائر المـكاره، بل الصحة وسـائر المحـابّ سـنة ربانية للابتـلاء والامتحـان، فالعبد مبتـلى في كل شيء، فيما يحبه، وفيما يكرهه، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

«الثابت في الكتاب والسنة أن أصحاب البلاء لهم عند الله الأجر العظيم والمنزلة الكبيرة إن هم صبروا واحتسبوا، ذلك أن المريض – سـواء كان مرضًـا طارئًـا أم إعاقـةً دائمـةً – يحتمل من الآلام التـي كتبهـا الله عليه ما يكون سـببًا في تكفير سـيئاته، فالله ﷻ لا يجمـع على العبـد المؤمن الصابر عذابـين في الدنيا والآخرة، وهو سبحانه يحب الصابرين، ويوفيهم أجورهم بغير حساب.

وليقـرأ معنـا كل مبتلى بعض الأحاديث التي فيها من البشـائر ما يثلـج صدره بإذن الله.. قال رسـول الله ﷺ: **(مـا من عبدٍ يُصرَعُ**

(١) قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره.

صرعةً من مرضٍ؛ إلا بعثه اللهُ منها طاهرًا)[1].

وإذا كان هـذا حال من أصيب بمـرض عارض أو ألم طارئ، فما بالك بالذي ابتلي بإعاقة دائمة تصاحبه إلى مماته، لا شـك أن مَن هـذا حالـه فهو يتقلب في الأجر والثـواب، وينغمس في رحمة الله ﷻ، إن هو صبر على ما ابتلاه الله به.

وعن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **(ما يَزالُ البلاءُ بالمؤمِنِ والمؤمنةِ، في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ، حتى يلْقَى اللهَ وما عليْهِ خطيئةٌ)**[2].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(إذا ابتلى اللهُ ﷻ العبدَ المسلمَ ببلاءٍ في جسَـدِه، قـال اللهُ ﷻ للملَـكُ: اكتُبْ لهُ صالِـحَ عملِه الَّذي كان يَعملُ، وإن شفاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وإنْ قبضَه غَفرَ لهُ ورحِمَه)**[3]»[4].

زار أحدهم مريضًا، فأخبره أن فلانًا مات من هذا المرض!.. بعض الكلام سهم مسموم على المريض..

عجبًـا!.. هل تعتقد أن مـن واجبك تجاه المريـض أن تخبره بعدد الأمـوات من المرض الذي يعانيه؟!..أم أنهـا معلومة تتقرب إلى الله بذكرها للمريض؟!

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح.

(٤) موقع (الإسلام سؤال وجواب)، المشرف العام فضيلة الشيخ محمد المنجد حفظه الله.

عندما تزور مريضًا، انقل له قصص الشفاء، والأخبار السارّة فقط، قال رسول الله ﷺ: (**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقُل خيرًا أو ليصمُتْ**)[1]. والله إن الصمت جَمال ونعمة لمن لا يتقن أدب الكلام، وإن كان لا بد من الكلام، فليكن بالدعاء للمريض بالشفاء.

- عندما تزور مريضًا، ابتسم في وجهه مهما كانت حالته صعبة.. تعبيرات وجهك ترسل له إيحاءات إيجابية أو سلبية عن حالته، فتسرّه أوتغمّه.

- إذا زرت مريضًا حالته خطيرة، عليك أن تُذهب حزنه فيما يتعلق بأجله، بأن تقول: لا بأس طهور، الله يطول عمرك على طاعته ويشفيك ويعافيك، ووسع له في أجله؛ لتنفس عنه الكرب..

  قيل لهارون الرشيد وهو عليل: هوّن عليك، وطيّب نفسك; فإن الصحة لا تمنع من الفناء، والعلة لا تمنع من البقاء، فقال: والله لقد طيّب نفسي، وروّح قلبي.

- داوم على الأعمال الصالحة وإن قَلَّتْ، وحافظ على النوافل ليُكتب لك أجرها حال الابتلاء بالمرض أو عند السفر، فكيف إذا اجتمع عليك مرض وسفر! قال نبينا ﷺ: (**إذا كانَ العبدُ**

(١) صحيح البخاري.

يعملُ عملًا صالحًا فشغلَهُ عنْهُ مرَضٌ أو سفَرٌ كُتِبَ لَهُ كصالحِ ما كانَ يعملُ وَهوَ صحيحٌ مقيمٌ)[1].

أجمل ما تدخل به السرور على المريض، ليست الحلوى؛ فلن يأكلها!..

ولا الزهور فلن يستمتع بها!.. بل بادر برقيته دون أن يطلب منك ذلك، فهذا أفضل ما تقدمه له، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ)**[2].

إذا كان في الشوكة تكفير للخطايا، فما ظنك بأشواك الألم، قل: الحمد لله.

قال رسول الله ﷺ: **(ما يُصيبُ المُسلِمَ، مِن نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حُزْنٍ، ولا أذًى، ولا غَمٍّ، حتى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بِها مِن خَطاياهُ)**[3].

نصب: تعب.

وصب: مرض.

---

(١) حسنه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) صحيح البخاري.

هم: الهم هو الاغتمام من أمر المستقبل.
حزن: الاغتمام من أمر مضى.

- الذي خلق الألم خلق الراحة، والذي خلق المرض خلق الشفاء، والذي خلق البلاء خلق الفرج.. فلا تذهب بعيدًا عنه، فهو قريب منك.. فقط إذا تيقنت بقربه، وآمنت بقدرته، عرفت كيف تتعامل مع الله عندما يبتليك.. وما أتعب الناس مثل جزعهم، أو شكهم في قدرة الله ﷻ على رفع البلاء.. فتتضاعف معاناتهم لسوء ظنهم بربهم، فهل تظن أن البلاء أكبر من(الكبير) سبحانه!.

- لمن يتناول أدوية لفترة طويلة، ومعلوم أن في تركيب بعضها سموم..الحل بإذن الله:

١. قال رسول الله ﷺ: (**من تصبَّحَ سَبعَ تَمراتٍ عجوةً، لم يضرَّهُ ذلِك اليومَ سُمٌّ ولا سِحرٌ**)[١].

٢. الحجامة تخرج السموم من الجسم، قال رسول الله ﷺ: (**الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرطَةِ مِحجَمٍ، أو شَربةِ عسلٍ، أو كيَّةٍ بنارٍ، وأنا أنهى أمَّتي عنِ الكيِّ**)[٢].

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري.

الدعاء

ثلث الليل الأخير هو وقت نزول الله إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فأنزلوا حوائجكم، وأفرغوا صدوركم، ولا تفرغوها في مجالس الناس!.. ألم تملُّوا!.. إن لم تملُّوا، فالناس ملُّوا.. الناس تُعيِّر، ولا تُغيِّر، والله يُغيِّر حالك، ويستر الستير سبحانه. قال رسول الله ﷺ: **(يَنْزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ، يقولُ: من يَدعوني فأَستجيبُ لهُ، من يَسْأَلُنِي فأُعْطِيهِ، من يَستغفرني فأَغْفِرُ لهُ)**[1].

يا أهل الحاجات: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، قال رسول الله ﷺ: **(الدُّعاءُ لا يُردُّ بينَ الأذانِ والإقامةِ)**[2].

اللهم اربط على قلبي.. ما أحوج المبتلى لهذا الدعاء.. تأمل لطف الله في أم موسى عليها السلام عندما واجهت ابتلاء عظيمًا تذوب له قلوب الأمهات (فقد الأطفال) قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:١٠].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: بالعصمة والصبر والتثبيت.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين لوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ فرده الله إليها، وأسعد قلبها.. أسأل الله أن يربط على قلبك.

قال رسول الله ﷺ: **(تعوَّذُوا بالله من جَهْدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ)**[1].

وعن عبد الله بن عمر قال: كان من دعاء رسولِ الله ﷺ: **(اللهمَّ إني أعوذُ بك من زوالِ نِعمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وفُجَاءَةِ نِقمتِك، وجميعِ سُخطِك)**[2].

(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح مسلم.

أدعية الكرب

لا يتصور أن يكون هناك مبتلى لا يحفظ أدعية الكرب إلا.. محروم إن لم تحفظها وأنت في وسط البلاء، فمتى إذن؟!

ما الذي تردده عندما يغمرك الهم؟.

أغنية، أولعن وسب، أو ألفاظ الاعتراض على القدر؟!

أعاذنا الله جميعًا من ذلك.

من المنح في المحن: أنك ستهتم بحفظ وترديد الأدعية التي عشت زمنًا طويلا وأنت لا تعرفها ولا ترددها، فبادر بحفظها، وترديدها، وأبشر بالفرج القريب من السميع المجيب سبحانه..

من أدعية الكرب:

قال رسول الله ﷺ: (**ما أصابَ أحدًا قطُّ همٌّ، ولا حَزنٌ فقال: اللَّهمَّ إنِّي عَبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أمتِك، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمَّيتَ بهِ نفسَك، أو أنزلْتَه في كتابِكَ، أوعلَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صَدري، وجَلاءَ حَزَني، وذَهابَ هَمِّي. إلَّا أذهبَ اللهُ ﷻ همَّهُ، وأبدلَه مكانَ حَزنِه فرحًا. قالوا: يا رسولَ اللهِ! يَنبغي لنا**

أَن نتعلَّـمَ هـؤلاءِ الكلـماتِ؟ قال: أجَـلْ! ينبغي لَمَن سـمِعَهنَّ أن يتَعلمَهنَّ)[1].

قـال رسـول الله ﷺ: **(دعَواتُ المكـرُوبِ: اللهُـمَّ رحمتَكَ أرجُو، فلَا تكلْنِي إلى نفسِي طرْفَةَ عيْنٍ، و أصلِحْ لِي شـأنِي كلَّهُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ)**[2].

كان النبـيُّ ﷺ يدعـو عِندَ الكَـربِ يقولُ: **(لا إلـهَ إلا اللهُ العظيمُ الحليـمُ، لا إلـهَ إلا اللهُ ربُّ السـمواتِ والأرضِ، وربُ العـرشِ العظيمِ)**[3].

عـن أسـماء بنـت عميـس رضي الله عنها قالـت: علَّمَني رسـولُ اللهِ ﷺ كلِماتٍ أقولُهُنَّ عندَ الكَربِ: **(الله الله ربِّي لا أشرِكُ بِهِ شيئًا)**[4].

حفظ أدعيـة الكرب فضيلة وزيادة.. لكن قد يصعب الحفظ على البعض فيمكنهم الدعاء بالتعبير الذي يحسنون.

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب.
(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

الكتابة

تظهر في بعض الكتابات مظاهر الاعتراض على القدر والتسخط على الله، ما يفيدك كتابة هذا الكلام إلا الاستكثار من السيئات وسخط الله، «إن قائل مثل هذه العبارات وقع في الفتنة من حيث يشعر أو لا يشعر، فالله تعالى جعل الناس بعضهم لبعض فتنة، منهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم الشريف، ومنهم الوضيع، فمن رضي بما قسم الله، ولم يسخطه: نجا من الفتنة، ومن اعترض وسخط: فله السخط، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: إن الدنيا دار بلاء، وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس، مؤمن، وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه، والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق، كما قال الضحاك في معنى ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: على الحق.

وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لمْ نُعَافَ؟ والأعمى يقول: لِمَ لمْ أُجعل كالبصير؟.

وهكذا صاحب كل آفة، فالفتنة: أن يَحسد المبتلى المعافى، ويَحقر المعافى المبتلى، والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضجر.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ محذوف الجواب، يعني: أم لا تصبرون؟»[1].

«أن مثل هذه الكلمات الدارجة على الألسنة فيها سوء ظن بالله تعالى، وهي فتنة لم يَنج منها كثير من الناس، فيظن الواحد منهم أنه يستحق أكثر مما قدِّر له، وأنه أولى بكثرة الخير والصرف عن السوء والشر من غيره، وفي ذلك من الاعتراض على قدر الله تعالى ما يخلخل به المرء ركنًا من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر شرِّه وخيره، وأنه كله من عند الله، قدَّره، وكتبه، وشاءه، ثم خلقه، بحكمته تعالى، وعدله».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فأكثر الخلق، بل كلهم، إلا مَن شاء الله، يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوْءِ، فإن غالبَ بني آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحقِّ ناقصُ الحظ، وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ اللهُ، ولِسان حاله يقول: ظلمني ربِّي، ومنعني ما أستحقُّه، ونفسُه تشهدُ عليه بذلك، وهو بلسانه يُنكره، ولا يتجاسرُ على التصريح به، ومَن فتَّش نفسَه، وتغلغل في معرفة

(١) باختصار تفسير القرطبي.

دفائِنها، وطواياها، رأى ذلك فيها كامِنًا كُمونَ النار في الزِّناد، فاقدح زنادَ مَن شئت، يُنبئك شَرَارُه عما في زِناده، ولو فتَّشت مَن فتشته، لرأيت عنده تعتُّبًا على القدر، وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقِلٌّ، ومستكثِر، وفَتِّشْ نفسَك هل أنت سالم مِن ذلك؟».

- لم أرَ أتعس و لا أنكد عيشًا ممن لم يرض بما كتب الله له.. و ما يلحقه من الإثم والسخط.. لا تكن ممن يعترض في كتاباته على القدر تلميحًا أو تصريحًا!

- عندما تقرأ خاطرة.. أو شعرًا.. تجد أغلبها: حزن، هم، معاناة، شكوى، تضجر.. وذلك مؤلم نفسيًا لكاتبه و قارئه؛ لأنه يثير الأحزان ويعمل على ثباتها لا على محوها ونسيانها ويؤدي ذلك إلى التسخط من أقدار الله ومن سخط فله السخط.

- يا أهل البلاء.. تأدبوا مع الله فيما تكتبونه واحذروا نقمته.. تقربوا إلى الله في كتاباتكم، ولتكن كلماتكم تفيض إيمانًا بالقضاء والقدر، والصبر والرضا، تفاءلوا بالفرج القريب، وأبشروا بكرم الكريم وبشّروا به.

- قالوا: من خلّف ما مات.. أقول: من ألّف خيرًا ما مات.

الموت

الأيام تجري سريعًا لتدفعنا نحو القبور.. لن يكون القبر موحشًا إذا كان روضة من رياض الجنة.. فدافع سرعة الأيام بأعمالك الصالحة.

فاقضوا مآربكمْ عجالاً إنَّما.. أعماركمْ سفرٌ من الأسفارِ
وتراكضُوا خيلَ الشَّباب وبادروا.. أن تُستردَّ فإنَّهنَّ عوارِ[1].

لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها، فاطمئن ولا تخف، وكن شجاعًا مقدامًا. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[آل عمران:١٤٥].

الأيام تركض.. كأنك تركب فرسًا سريعة تجري بك.. وتجري.. وتجري.. وفجأة تتوقف بعنف لتلقي بك بكل قوتها إلى الحفرة «القبر».

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الموت لا والدًا يبقى ولا ولدًا.. هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدًا
مات النبيُّ وَلَمْ يَخلُدْ لأُمَّتِه.. لو خلّد الله خلقًا قبله خلدا
للموتِ فينا سهامٌ غير خاطئة.. من فاتهُ اليوم سهم لم يفته غدًا

(١) الشاعر علي التهامي، من شعراء العهد العباسي.

الموت حقيقة غائبة حتى نُفجع بها.. أو نذوقها، قال الله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

«التلبينة»[١] غذاء مفيد للمبتلى، تخفف عنه بعض ما يجد، كَانَتْ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ، فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: (التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)[٢].

اللهم صل وسلم على حبيبنا ونبينا محمد الذي علمنا حتى الأطعمة التي تخفف الأحزان، دين عظيم ونبي عظيم. بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(مجَمَّةٌ) وَيُقَال: (مُجِمَّةٌ) أَيْ: تُرِيح فُؤَاده، وَتُزِيل عَنْهُ الْهَمّ وَتُنَشِّطهُ».

---

(١) التلبينة هي: حساء يُعمل من ملعقتين من مطحون الشعير بنخالته، ثم يضاف لهما كوب من الماء، وتطهى على نار هادئة لمدة ٥ دقائق.

(٢) صحيح البخاري.

- سابق الأجل بالعمل، قبل أن تقول: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

  يا ليتني قدمت وأنا في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي الحقيقية الباقية، التي لا موت بعدها، ما ينجيني من غضب الله، ويوجب لي رضوانه.

- أيام عمرك كأوراق الشجرة الخضراء النضرة التي تصفر ثم تيبس وتنحني، فتسقط أرضًا، تاركة الشجرة بمن فيها وما فيها، وأحيانًا تسقط أوراق الشجرة وهي في أوج نضرتها فلا مكان دائم لها هنا.. لا مكان.

- الآن عبّر لأفراد أسرتك عن مشاعرك الطيبة تجاههم، أليس هذا أفضل من قصائد الرثاء وخواطر البكاء التي لن يروها بعد فقدهم؟.. قال رسول الله ﷺ: (**والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**)[1].

(١) صحيح البخاري.

علاج حر المصيبة وحزنها

من المهم أن يعرف المبتلى هدي النبي ﷺ في علاج حر المصيبة وحزنها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

وقال رسول الله ﷺ: **(ما مِنْ مسلِمٍ تصيبُهُ مصيبَةٌ فيقولُ ما أمرَهُ اللهُ: إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللهمَّ آجُرْنِي في مُصيبَتِي، واخلُفْ لي خيرًا منهاَ. إِلَّا آجرَهُ اللهُ في مصيبَتِهِ، وأخلَفَ اللهُ لَهُ خيرًا منها)**[1].

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته.

وفيها أصلان عظيمان:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله، ملك لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أول مرة، بلا أهل، ولا مال، ولا عشيرة، ولكن بالحسنات، والسيئات، فإذا

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع.

كانـت هذه بدايـة العبد ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسـى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم العلاج لهذا الداء.

ومـن علاجها: أن يعلم علـم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ومن علاجها: أن ينظر إلى ما أصيب به، فيجد ربه قد أبقى له مثله، أو أفضل منه، وادخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومـن علاجهـا: أن يطفئ نار مصيبته ببرد التـأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل وادٍ بنو سـعد، ولينظر يمنة، فهل يرى إلا محنة؟ ثـم ليعطف يسرة، فهل يرى إلا حـسرة؟ وأنه لو فتش العالم، لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلِ زائل، إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا، ساءت دهرًا، وإن متعت قليلاً، منعت طويلاً.

قالت هند بنت النعمان: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس.

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها، فقالت: أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحدٌ إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحدٌ إلا يرحمنا.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردها، بل يضاعفها.

ومـن علاجها: أن يعلـم أن فوات ثواب الصبر والتسـليم، وهو

الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع، أعظم من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقب الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة، أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر أي المصيبتين أعظم؟، مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد، قال رسول الله ﷺ: **(يودُّ أَهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ حينَ يُعطى أَهلُ البلاءِ الثَّوابَ لو أنَّ جلودَهم كانت قُرِضَت في الدُّنيا بالمقاريضِ)**[1].

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مثاب، قال بعض الحكماء: «العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام،

(١) حسنه الألباني في صحيح الترمذي.

ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم». وقال رسول الله ﷺ: **(الصَّبرُ عندَ الصَّدمةِ الأولى)**[1].

ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه به، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا ببابه لائذًا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعًا قصص الشكوى إليه.

ومن علاجها: أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد يُنعم بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أن الله سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن، والابتلاء لطغوا وبغوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء، والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا

(١) صححه الألباني في صحيح النسائي.

هذبـه ونقاه وصفاه، أهّله لأشرف مراتب الدنيا وهي: عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو: رؤيته وقربه.

ومن علاجها: أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقلبها الله سبحانه كذلك، وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة، خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق: (حُفَّتِ الجنَّةُ بالمَكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ)[1].

وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذل ساعة لعز الأبد، ولا محنة ساعة لعافية الأبد، فإن الحاضر عنده شهادة، والمنتظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكم، فتولد من ذلك إيثار العاجلة، ورفض الآخرة.

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه، وأهل طاعته من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر، وما أعد لأهل البطالة، والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة، ثم اختر أي القسمين أليق بك، وكل يعمل على شاكلته، وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه، وما هو الأولى به، وبالله التوفيق.

---

(١) صحيح مسلم.

أسباب رفع البلاء

١. طاعة الله أيام العافية والسلامة، ففي الحديث: (احفَظِ اللهَ يحفَظكَ)[1].

(احفَظِ الله)، أي: احفَظ حدوده وحقوقَه وأوامره ونواهيه، بحيث يجدك في الطاعات والقربات، ولا يجدك في المعاصي والآثام، ومن أعظم ما يُحافظ عليه الصلاة والطهارة، وحفظ الرأس وما وعَى وهو يتضمن حفظ السمع والبصر واللسان من المحرَّمات، وحفظ البطن وما حوَى، ويتضمن حفظ القلب عن الإصرار على المحرَّمات، والمطعم الحرام، وكذلك من أعظم ما ينبغي حفظه من نواهي الله ﷻ: الفَرْج، وأن يحفظ فلا يوضع إلا في حلالٍ.

(**يَحْفَظْك**)، أي: إذا اتَّقيته وحفظته، كان جزاؤك أن يصونك من الشرور والموبقات، ويحفَظك في نفسك وأهلك ومالك ودينك ودنياك، ويحفظك من مكاره الدنيا والآخرة.

فحفظُ الله لعبده نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده، وأهله وماله؛ فمَن حفظ الله في صِباه وقوَّته، حفظه الله في حال

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

كبره وضعف قوَّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وقوته وعقله.

النوع الثَّاني: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشُّبهات المضلَّة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفَّاه على الإيمان، وعلى العكسِ من هذا؛ فمن ضيَّع اللهَ ضيَّعه الله، فضاع بين خلقه، حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم.

٢. تقوى الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٣]. وقال ابن الجوزي رحمه الله: «من أراد دوام العافية فليتق الله».

٣. دعاء الله ﷻ في تفريج الكرب، فإن الله لا يرد من دعاه، ولا يخيب من رجاه، فادعوا الله ﷻ، وتضرعوا إليه.

قال بعض العلماء: عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع:

عجبت لمن أصابه ضر، كيف يغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ [الأنبياء:٨٤].

وعجبت لمن أصابه حزن وغم، كيف يغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وعجبت لمن يمكر به الناس، كيف يغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، والله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر:٤٥].

وعجبت لمن كان خائفًا، كيف يغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، والله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

٤. التوكل على الله ﷻ، وحقيقة التوكل: تفويض الأمر إليه مع فعل الأسباب المشروعة والمباحة، والجزم بأن الله على كل شيء قدير، الذي له الخلق والأمر، والذي يقول للشيء كن فيكون، والذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فعلى المسلم أن يعلق قلبه بالله ﷻ رغبة و رهبة وخوفًا ورجاء و محبةً، فمن توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٣].

٥. الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت:٤٤]

وما أجمل ما قالت الشاعرة[1]:

لما تلا قول الرحيم تبدلتْ

أحزانه للسعد والأفراحِ

ولكل إنسان مفاتحُ فرحةٍ

وأنا.. تلاوة آيةٍ مفتاحي

٦. قيام الليل.. الذي يقوم الليل يتعرض لساعات الإجابة، وقت نزول الله سبحانه إلى السماء الدنيا، قال رسول الله ﷺ: **(يَنْزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ، يقولُ: من يَدعوني فأَستجيبُ لهُ، من يَسْأَلُنِي فأُعْطِيهِ، من يَستغفرني فأَغْفِرُ لهُ)**[2].

٧. الصدقة، قال رسول الله ﷺ: **(إن صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تباركَ وتعالى)**[3]، وقال أيضًا: **(والصدقةُ تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ)**[4].

٨. صنائع المعروف: وهي الإحسان إلى عباد الله بعمل المعروف من قرض حسن، أو بر، أو هدية، أو صدقة، أو إعانة على

---

(١) أمل الشيخ.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) خرجه الألباني في صحيح الترغيب، وقال: حسن لغيره.

(٤) صححه الألباني في صحيح الترغيب.

قضاء حاجة من شفاعة، أو تحمل دين أو بعضه، أو غير ذلك من وجوه الإحسان المتنوعة، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

٩. الاستغفار.. فإنه مرضاة للرب ومنجاة من سخطه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، ومن لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

١٠. سارع بالتوبة.. قال الله ﷻ: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة:٧٤]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة»[1].

(١) باختصار وتصرف من خطبة:(أسباب رفع البلايا والمصائب)، د.خالد المشيقح.

قبل أن أودعك

مـن لم يـرض بـما قـدره الله يعِـش تعيسًـا، ويُتعـس مـن حولـه، ويتضاعـف همـه، فيـزداد ألمـه النفـسي، ثـم يبـدأ الألم الجسـدي بالظهور على هيئة أمراض!..

باختصار: لا تعذب نفسك، ولا تضاعف ألمك، الاعتراض على القدر، لا ينفعك شرعًا، ولا عقلًا، بل يزيد معاناتك..

ولا تظـن أن النـاس كلهـم سـعداء وأنـك الوحيد المبتـلى، لا.. ولكن هناك من يتحدث في المجالس عن معاناته فتعلم أنه مبتلى، وهنـاك من لا يتحدث ويحتسـبها عند الله فينـزل الله عليه الثبات والسكينة، فتراه مبتسمًا مسرورًا فتظنه خاليًا من البلاء!.

الحقيقة التي أود البوح بها في نهاية الكلام:

أن كثيرًا من الناجحين في الحياة هم من أهل البلاء!..

الأنبيـاء، الصحابـة، العلـماء، القـادة، وغيرهـم مـن الناجحـين صغارًا وكبارًا رجالًا ونسـاءً.. بل إن بعضهم لم يحقق النجاح إلا بعد الابتلاء، وليس قبله!.

سـأتوقف الآن عن الكتابة لأودعك بهذه الكلمات المحفزة لكل مبتلى، للشاعرة الموفقة(أمل الشيخ):

أيها الموجوع صبرًا..

إن بعد العسر يسرًا..

إن بعد الحزن أمنًا..

فاحتسب في الحزن أجرًا..

لا يكون الدمع دومًا..

سوف تجني السعد دهرًا

أيها الباكي بليلٍ..

سوف يأتي النور فجرًا..

أيها المكسور قل لي

هل يديم الله كسرًا؟

إن ربّا كان يدري..

فيك عند الصبر أدرى

قم معي فالعجز عيبٌ..

أنت بالإيمان أحرَى..

ليست الدنيا بشيءٍ..

كي يروح القلب قهرًا!

لا تذبْ فالدار دنيا..

لا تضقْ برّا و بحرًا..

خذ من الدنيا سرورًا..

لا تدعْ في الصدر سرّا!

امش في دنياك هونًا

كل شيء كان قدرًا

إنّ من أبقاك رب

كان يرضى أن تقرّا

ربنا الرحمن رب

راحم قد كان برّا

أيها الموجوع صبرًا

إن بعد العسر يسرًا

اللهم ارفع عنَّا وعن المسلمين البلاء، واجعلنا من أهل السعادة في الدنيا والآخرة، والحمد لله الحميد الذي وفق وهدى، أسأل الله الإخلاص والقبول لنا جميعًا، وصل اللهم وبارك على من نجيته بلطفك من كل كرب وبلاء محمد بن عبدالله وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

العنوان	الصفحة
المقدمة	٥
الابتلاء علمني	٧
القرآن	٣٢
الناس	٣٤
الحسد	٤٣
المرض	٤٥
الدعاء	٥٤
أدعية الكرب	٥٦
الكتابة	٥٨
الموت	٦١
علاج حر المصيبة وحزنها	٦٤
أسباب رفع البلاء	٦٩
قبل أن أودعك	٧٤

@h_sanee3

H_sanee3

@H_a_a_s